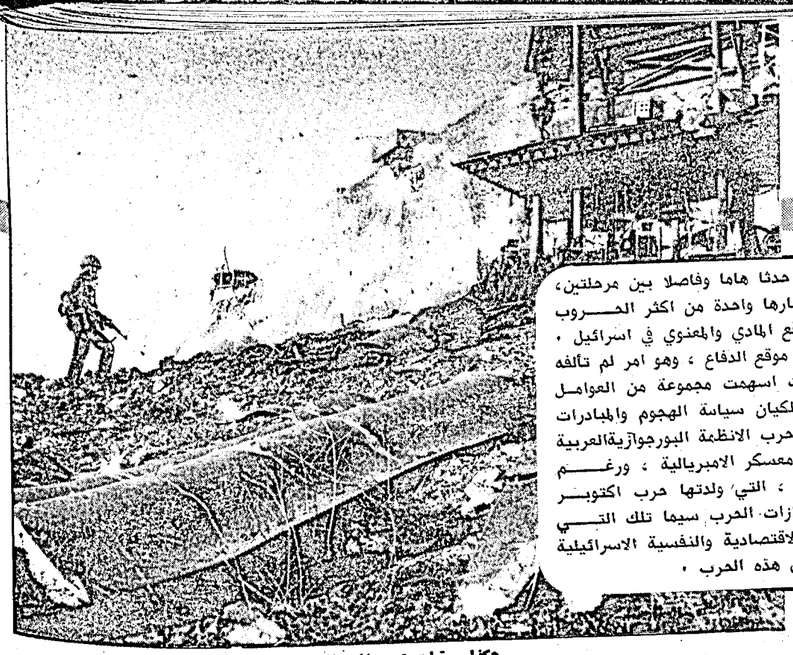

هكذا سقطت تحصينات العدو

□ شكلت حرب تشرين – بالنسبة لاسرائيل – حدثا هاما وفاصلا بين مرحلتين، ودخلت هذه الحرب تاريخ الكيان الصهيوني ، بأعتبارها واحدة من اكثر الحروب العربية – الاسرائيلية تأثيرا على جميع ميادين الواقع المادي والمعنوي في اسرائيل .

فللمرة الاولى في تاريخ العدو يباغت ويكون في موقع الدفاع ، وهو امر لم تألفه الاستراتيجية السياسية والعسكرية الاسرائيلية حيث اسهمت مجموعة من العوامل السكانية والجغرافية والسياسية في انتهاج قادة الكيان سياسة الهجوم والمبادرات الرادعة ، ومن هنا ، ورغم ان حرب تشرين كانت حرب الانظمة البورجوازية العربية العاجزة والمفلسة والتي اصبحت جزءا لا يتجزأ من معسكر الامبريالية ، ورغم النتائج السياسية الايجابية جدا بالنسبة لاسرائيل ، التي ولدتها حرب اكتوبر التاكتيكية ، الا ان أستعراض حملة من نتائج وافرازات الحرب سيما تلك التي عكست نفسها على الحياة السياسية والعسكرية والاقتصادية والنفسية الاسرائيلية ليصبح امرا ضروريا خاصة بعد مرور ٤ سنوات على هذه الحرب .

اسرائيل

٣ سنوات بعد حرب تشرين :

متاعب اقتصاديه واهتزاز المؤسسة العسكريه وتراجع الهجرة

تحذير النضال الوطني في الداخل وتوحيده وفشل مشاريع الدمج

داهمت « هزة » اكتوبر اسرائيل في الوقت الذي كانت فيه كافة الاحزاب والكتل السياسية تستعد لخوض معركة انتخابات الكنيست الثامنة ، ولقد شهدت الحياة السياسية الاسرائيلية اثر حرب «التقصير» ظاهرتين :

الاولى : اشتداد قوة التيار اليميني ، وظهور ذلك في نتائج انتخابات الكنيست ، حيث اصبح عدد المقاعد التي يحتلها تكتل « ليكود » اليميني المعارض ٣٩ مقعدا والمشكل من « جاحل » والحزب الليبرالي والتجمعات اليمينية الاخرى بزعامة مناحيم بيغن .

الثانية : بروز عددكبير من الجنرالات (احتياط) وانخراطهم في خضم الحياة السياسية ، وخوض المعركة الانتخابية بصورة ملفتة للنظر .

شيء اخر برز بحدة على مستوى التاريخ السياسي في اسرائيل ، وهو ارتفاع وتيرة الاصوات المطالبة بالتغيير – تغيير القيادة السياسية المسؤولة عن الكارثة او « التقصير » ، وتبلور الاراء والاتجاهات التي تنادي بأيجاد حل لمعضلة الصراع العربي الاسرائيلي كالاتي :

١ – الفريق العنصري المتطرف والذي بدأ يروج لافكاره ومقولاته بضرورة اعتماد سياسة « العصا والجزرة » مع العرب ، او ضرورة ضم كافة الاراضي التي احتلت للدولة . ومن الطبيعي ان يتشكل هذا الفريق من الاحزاب اليمينية وكتل المعارضة الليكودية .

٢ – فريق الحمائم والذي يمثل خط الاعتدال في السياسة الاسرائيلية والداعي الى ضرورة اعتماد برنامج واقعي يعترف بالحقوق العربية ويدعو لاجراء محادثات سلام بين العرب والاسرائيليين ، والانتهاء من سياسة القوة ، واعلان الطلاق مع خط الحروب والحروب المضادة .

٣ – فريق يتراوح موقفه بين الموقفين السابقين ، اي الدعوة الى خلق اسرائيل قوية محاربة والاستعداد لتقديم تنازلات ومفاوضات مع العرب .

لجنة اغرانات

وفي ضوء النتائج التي افرزتها حرب تشرين بادرت الحكومة الاسرائيلية بتشكيل لجنة للتحقيق في الاخطاء والتقصيرات المرتكبة وسميت باسم رئيسها «اغرانات » والتي احدثت ارتباكا كبيرا في صفوف الاطارات القيادية في الجيش وقطاعاتها . « فالكثيرين من رجال القيادة العليا غارقون الى ما فوق رؤوسهم بكل ما يتعلق بلجنة اغرانات ، فالشعور السائد هو ان هذه اللجنة قد تقرر مصير عدد من القادة الكبار (هارتس ١٣–٦–٧٤) ، وتحدثت الانباء خلال الفترة التي اعقبت الحرب وابان تشكيل لجنة اغرانات عن اختفاء وثائق مهمة ،وخرائط واقتراحات تتعلق بالعمليات ومسح أشرطة تسجيل » .

وقد ادان التقرير الصادر عن لجنة اغرانات رئيس هيئة الاركان اللواء العازار ، واللواء غونين قائد المنطقة الجنوبية، واللواء زعيرا رئيس شعبة الاستخبارات ،وعددا من ضباط الاستخبارات وبرأ مئير ودايان من مسؤولية التقصير ، هذا ويبقى تقرير اغرانات يشكل وثيقة من وثائق حرب تشرين بالنسبة للجانب الاسرائيلي .

علامات استفهام

كان من نتيجة حرب تشرين ان تصاعدت داخل اسرائيل وخارجها في اوساط الصهاينة واليهود علامات استفهام كبرى حول صحة المشروع الصهيوني ومدى القدرة على انجازه في ظل حالة الحرب المستمرة وظاهرة الحروب المتفجرة في المنطقة نتيجة وجود هذا المشروع ، وذلك ازعج قادة اسرائيل والحركة الصهيونية .

تشكيل حزب « ياعد »

ميزت ظاهرة الانشقاقات والتكتلات الحياة الحزبية في اسرائيل ، وفي اثر الصدمة التي احدثتها «حرب علامات الاستفهام » كما اسمتها بعض الجهات الاسرائيلية ، جرت محاولة لتوحيد حركات الاحتجاج والمعارضة والتي ظهر ان ما يوحدها هو عنصر النقمة على اوضاع الحكم في اسرائيل ، وضرورة العمل على تغييرها رغم انها لم تكن متفقة فيما بينها حول الطريقة التي يتم بها ذلك .

ولقد بلغ عدد حركات الاحتجاج هذه ٣٢ حركة وجماعة (يديعوت احرونوت ١٠–٥–٧٥)

وكان من نتائج تحركات زعماء حركات الاحتجاج والمعارضة هذه ان تشكلت لجنة تحضيرية والتي اوجبت تشكيل حزب سياسي جديد واقترحت اسما له « ياعد » (الهدف) ليعمل على اقامة مجتمع ديمقراطي واحداث تغيير سياسي والحفاظ على حقوق المواطن .

والجهات التي بادرت بتشكيل « ياعد » هي حركة حقوق المواطن بزعامة النائبة شولاميت الوني التي انفصلت عن حزب العمل قبل الانتخابات الاخيرة ، وشكلت قائمة مستقلة حصلت على ثلاث مقاعد في الكنيست الحالي، والطرف الاساسي الاخر في مبادرة تشكيل حزب « ياعد » هو النائب اريه اليف السكرتير السابق لحزب العمل ، الذي استقال من الحزب ، وجماعة من حركة شينوي التي نشأت في اعقاب حرب تشرين ، وجماعة « ليبون » – وهي تيار وسطي او الوسط من اجل توضيح قضايا المجتمع والدولة في حزب العمل ، وتتلخص مبادىء « ياعد » كما ابرزها اول بيان صدر عنه :

□ العودة الى منابع الصهيونية من اجل اقامة مجتمع منظم

□ اعتبار التسوية السلمية ، وليس الاحتفاظ بالمناطق المحتلة ، هدفا قوميا ، رئيسيا والسعي لحل النزاع العربي – الاسرائيلي على اساس الاعتراف المتبادل بالحقوق .

□ ديمقراطية الحياة السياسية .

اضرابات ومظاهرات

وفي الفترة التي اعقبت الحرب مباشرة حيث الذهول والصدمة التي اصابت كل فرد في الكيان الصهيوني بادرت الاحزاب اليمينية وتكتل المعارضة « ليكود » بالمناداة بسقوط حكومة المعراخ وسيرت مظاهرات لهذا الغرض بلغت حدا متقدما توج بمشروع ليصار الى تقديمه حجما قياسيا دلل على مستوى قوة اليمين ، وحجم الثقة المهزوزة بادارة الحكم ورفض النتائج التي اسفرت عنها حرب تشرين .

وشهدت الاراضي المحتلة اوسع موجة من النضال الوطني الفلسطيني السياسي والمسلح والذي شمل كل المناطق ، فالعمليات العسكرية اختبرت تصعيدا نوعيا ونجحت المقاومة في ان تجعلها شاملة ومتواصلة ، في حين شهدت الضفة الغربية وقطاع غزة واراضي ١٩٤٨ انتفاضة وطنية واسعة ، تجلت فيها للمرة الاولى منذ ١٩٤٨ وحدة الشعب الفلسطيني وفشل مشاريع الدمج الموجهة ضد عروبة سكان « اسرائيل » ، خصوصا في مناطق الجليل ، وكان يوم الارض ١٩٧٦ ابرز تعبير عن ذلك .

جولات كيسنجر

وحين بدأ كيسنجر خطواته المكوكية في المنطقة مترجما البادرة الامريكية لتسوية النزاع العربي – الاسرائيلي على ضوء معطيات ونتائج حرب تشرين ، تعالت اصوات مختلفة داخل الشارع الاسرائيلي وفي الاوساط الحزبية الاسرائيلية . الا ان اكثرها تعبيرا عن ذاته هو صوت اليمين المتطرف والذي نادى برفضه التنازل عن اي شبر من الاراضي المحتلة ، وان « السامرة » هي حدود امنية لاسرائيل « وارض الاباء » التي لا يجوز التفريط بها قيد انملة ، ودعا هذا التيار الواسع الى ضرورة الاسراع بتبني سياسة استيطانية في الضفة والقطاع ، متفقا بذلك مع ما جاء في بنود وثيقة جالبلي وهي التي شكلت برنامج حزب العمل لمواجهة المرحلة المقبلة .

كما ظهر تيار اخر اكثر اعتدالا دعا الى تبني خط المفاوضات وتقديم بعض التنازلات والاقلاع عن استخدام سياسة النعامة ، والتعامي عن الحقائق القائمة ، وان هناك شعبا فلسطينيا او هناك فلسطينيون ان الاوان للاعتراف ببعض حقوقهم شريطة الا يؤثر ذلك على مصالح وامن اسرائيل استراتيجيا .

عزلة اسرائيل السياسية

من النتائج التي اسفرت عنها حرب تشرين ، وكان لها انعكاسات سلبية على اسرائيل هو العزلة الدولية التي وجدت نفسها تعاني منها :

الطرد من الامم المتحدة

ففي اثر الحرب وما رافقها من حملات عربية مكثفة ومدعمة بجهود منظمة الدول الافريقية، ودول عدم الانحياز ، فقد باتت مسألة طرد اسرائيل من الامم المتحدة امرا يهز كافة الاحزاب والهيئات في اسرائيل سواء تلك التي في الحكم اوخارجه ، ولقد بلغت الجهود في هذا المضمار حدا متقدما توج بمشروع ليصار الى تقديمه يدعو المنظمة الدولية لطرد اسرائيل من حظيرتها.

وكان عدم انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية والازمة النفطية العالمية التي اخذت بخناق الاوروبي والاميركي والياباني انذاك ، وحظر تصدير النفط عربيا عوامل شكلت بمجموعها ارضية التحرك العربي الرسمي معززا برغبة عربية جماهيرية عارمة في استمرار المعركة العسكرية والنفطية والحصار النفطي ضد الدول التي ساندت وتساند اسرائيل .

الا ان مشروع طرد اسرائيل من المنظمة الدولية قد اجهض بفعل تدخل الامبريالية الامريكية لدى حليفاتها الرجعيات في المنطقة العربية وغيرها ، والتهديد بأحتلال منابع النفط .

الدول الافريقية تقطع علاقاتها بأسرائيل

واجهت دولة العدو فترة مضنية وقاسية سياسيا ونفسيا حين اقدمت بلدان « الوحدة الافريقية » والبالغة ٤١ بلدا على قطع علاقاتها مع اسرائيل وبجملتها اثيوبيا ذات العلاقة الخاصة والحميمة مع دولة « يهوذا » .

وقد اقدمت الدول الافريقية على هذه الخطوة الجماعية رغم العلاقات التي كانت تجمع بعضها باسرائيل والاتفاقيات والمعونات المبرمة معها.

– مضافا الى الدول الافريقية التي اقدمت فعلا على قطع علاقاتها مع اسرائيل ، ونتيجة للخطر النفطي العربي ولتوليد ضغوط على اسرائيل فقد تأثرت علاقاتها بأوربا الغربية وبعض الدول الاسكندنافية .

انجاز اتفاقيتي سيناء والجولان

رغم الاثار السلبية سياسيا التي اعقبت مباشرة حر باكتوبر الا انه وبعد ان اخذت تحركات كيسنجر مداها ، ونتيجة للاستعداد المسبق من كل من النظامين المصري والسوري فقد تم الوصول الى اول اتفاق عربي – اسرائيلي بعد اجتماعات الكيلو ١٠١ وباشراف مركزي امريكي واعتبرته الاوساط الاسرائيلية بابا تاريخيا فتحه النظام المصري كمدخل لسلسلة اتفاقات سياسية واقتصادية لاحقة ، وهكذا كانت اتفاقية فك الارتباط الاول بين القوات المتحاربة المصرية – الاسرائيلية .

ثم كانت اتفاقية سيناء ، والتي فتحت ابواب المنطقة العربية واسعا امام النفوذ الامبريالي الامريكي ودشنت بذلك مرحلة جديدة من المفاوضات وحركة الفعل السياسي الاخذة باتجاه انهاء الصراع العربي الاسرائيلي ضمن اشراف ومباركة الامبرياليين الامريكان .

– ثم كانت اتفاقية فك الارتباط على جبهة الجولان والتي تمت ضمن تسابق مصري سوري لكسب ود الامبريالية الامريكية ، وايهما اسبق في اعتماده وكيلا اصيلا للسياسة الامريكية في المنطقة .

الثمن كان باهظا

ولقد اقدم كل من النظامين المصري والسوري على ابرام اتفاقات الفصل والخيانة مع العدو الاسرائيلي قاطعين بذلك كافة الجسور مع الجماهير العربية والفلسطينية ومصلحتها ومستقبل نضالها معلنين الارتماء النهائي في احضان الامبريالية الاميركية ، وصيرورتهما رأس الحرب المضادة ضد حركة التحرر العربي والفلسطيني ، وحزام امن استراتيجي لدولة العدوان الاستيطانية ، فسجلا بذلك عارا تاريخيا يلحق بهذين النظامين وبقياداتهما لن تنساه الجماهير الراغبة في التحرر والانعتاق وفي دك وتحطيم هذين النظامين العميلين بالمقابل فقد قبضت اسرائيل ثمنا عاليا جدا واستراتيجيا سياسياواقتصادياسواء من الامبريالية الاميركية او من عرب التسوية .